مجلة العميد
Journal Homepage: https://alameed.alameedcenter.iq/
ISSN: 2227-0345 (Print) ISSN 2311-9152 (Online)

نقد شبهة تاريخية القرآن الكريم عند الحداثيين في ضوء قاعدة الجري والانطباق

نصير علي موسى شكر [١]
محمد باقر علي هاشم [٢]

[١] جامعة الكوفة/ كلية التربية الأساسية/ قسم التربية الإسلامية، العراق؛ naseera.shokr@uokufa.edu.iq
دكتوراه في فلسفة الشريعة الاسلامية / مدرس
[٢] جامعة الكوفة/ كلية التربية الأساسية/ قسم التربية الإسلامية، العراق؛
mohammedbaqera.alhashime@uokufa.edu.iq
دكتوراه في فلسفة الشريعة الإسلامية / مدرس

تاريخ الاستلام:
١/ ٤/ ٢٠٢٦
تاريخ القبول:
٨/ ٥/ ٢٠٢٦
تاريخ النشر:
٣٠/ ٦/ ٢٠٢٦
الكلمات المفتاحية:
الحداثيون، قاعدة الجري والانطباق، تاريخيَّة القرآن الكريم، أهل البيت عليهم السلام، علوم القرآن، القواعد التفسيريَّة
السنة(١٥)-المجلد (١٥)
العدد (٥٨)
محرم ١٤٤٨هـ
حزيران ٢٠٢٦ م.
DOI:
10.55568/amd.v15i57.137-159

ملخص البحث:
أثار الحداثيون شبهات كثيرة حول القرآن الكريم، نتيجة قراءاتهم السطحيَّة، وكذا تأثُّرهم الكبير بالدراسات الغربيَّة حول القرآن الكريم، ومن تلك الشُّبهات المثارة من قبلهم، شبهة (تاريخيَّة القرآن الكريم)، التي تعني أنَّ آيات القرآن الكريم مرتبطة بوقتها وزمانها، ومن ثمَّ فهي غير صالحة لتطبيقها على أزمانٍ أخرى، هذه الشبهة الكبيرة في مدّعاها، تدحضها بيانات أهل بيت العصمة عليهم السلام؛ إذ أشاروا عليهم السلام إلى أنَّ آيات الكتاب العزيز لا يحدُّها زمان أو مكان؛ بل هي تجري ما جرى الليل والنهار، والشمس والقمر، وفي هذا البحث سيتعرض الباحث لهذه الشبهة، ويستدلُّ على تهافتها من خلال قاعدة الجري والانطباق التي جاءت الإشارة لها في أحاديث العترة الطاهرة عليهم السلام.

CC BY NC

Refuting Claim of Historical Nature of Glorious Quran for Modernists in Light of Rule of Extension and Application

Naseer Ali Musa Shukr [1]
Mohammad Baqir Ali Hashim [2]

[1] University of Kufa / College of Basic Education / Department of Islamic Education, Iraq; naseera.shokr@uokufa.edu.iq
PhD in Philosophy of Islamic Sharia / Lecturer
[2] University of Kufa / College of Basic Education / Department of Islamic Education, Iraq; mohammedbaqera.alhashime@uokufa.edu.iq
PhD in Philosophy of Islamic Sharia / Lecturer

Received:
1/4/2026
Accepted:
8/5/2026
Published:
30/6/2026

Keywords:
Modernists, The Rule of Textual Extension, Historicity of Glorious Quran, Ahlalbayt (Peace Be Upon Them), Quranic Sciences, Exegetical Rules.

Al-Ameed Journal
Year(**15**)-Volume(**15**) Issue (**58**)
Muharram 1448 AH
June 2026 AD.

DOI:
10.55568/amd.v15i57.137-159

Abstract:

Modernists stir numerous suspicions on Glorious Quran as a result of their superficial readings, as well as their significant influence by Western studies on the Glorious Quran. Among those suspicions raised by them is the suspicion of (Historicity of Glorious Quran), which means that Ayats of Glorious Quran are linked to their time and period, and consequently, they are invalid for application to other times. This suspicion—which is massive in its claim—is refuted by the statements of the People of Infallibility, Ahlalbayt (Peace Be Upon Them); for they (Peace Be Upon Them) pointed out that the Ayats are not bounded by time or place, but rather they run as the night and day, and the sun and moon do . In this research, the researcher exposes this suspicion and demonstrates its collapse through the rule "Textual Extension" to which reference is made in Hadiths of the Pure Progeny (Peace Be Upon Them).

المقدِّمة

لا يخفى على الباحثين والمختصِّين في القرآن الكريم أهميَّة القواعد القرآنيَّة ودورها في فهم آيات الكتاب العزيز، ومن بين تلك القواعد ما هو عامّ وما هو خاص، وقد وظَّف علماء التفسير كلا النوعين في فهم آيات كتاب الله العزيز، وتعدُّ قاعدة (الجري والانطباق)، من ألمع القواعد التفسيريَّة الخاصَّة وأبرزها، فالقرآن الكريم المعجزة الخالدة للرسول الأعظمﷺ الذي (لا يَخلَقُ عن كثرةِ الرَّدِّ، ولا تنقضي عجائبُه)، الكتاب الذي أراده الله سبحانه أن يكون دستور البشريَّة الخالد، وهذا الخلود يستدعي مواكبة العصور كلها، ومسايرة الإنسان في جميع شؤونه، وفي كلِّ ما يستجدُّ له من أحكام دينيَّة ودنيويَّة، من هنا وُصِفَت آيات القرآن الكريم بأنَّها لا تختصُّ بالمورد الذي نزلت فيه، فأقرُّوا بقاعدة (خصوصيَّة المورد لا تخصص الوارد)، وهذه العبارة هي تعبير آخر عمَّا يسمَّى بـ(قاعدة الجري والانطباق)، أو كما يقول الأصوليون (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، وهذا البحث سيعرض هذه القاعدة وأثرها في دحض أحد أهمِّ شُبهات الحداثيين، وهي ما يطلقون عليها بـ(تاريخيَّة القرآن الكريم).

فعند أعتاب هذه القاعدة التفسيريَّة (الجري والانطباق) تتهاوى مزاعم الحداثيين الذين دأبوا على إفشاء الشبهات في أوساط المجتمع، عبر كتاباتهم ومحاضراتهم وندواتهم، التي ما فتئوا ينشرونها هنا وهناك ما سنحت لهم الفرصة.

لقد وجَّه الحداثيون سهامهم إلى القرآن الكريم بشكلٍ مباشر، محاولين وسمه بالتاريخيَّة، وهنا تكمن خطورة الحركة الحداثيَّة، إذ إنَّها قرأت تُراثنا الإسلامي (القرآن والسُّنَّة) من طريق ما يتبنُّونه من (معرفة)، وأعملوا فكرهم وفلسفتهم وقيمهم وأخلاقهم وجعلوها معيارًا يُقاس عليه جميع ما سواه!

إنَّ أحد الشبهات المثارة – وبنظر الباحث هي شبهة جدّ خطيرة، ترمي إلى تجميد تشريعات القرآن الكريم وحصره بالزَّمان الذي نزل فيه – هي شبهة (تاريخيَّة النَّصِّ القرآني) التي تعني أنَّ آيات الكتاب العزيز هي نصوص جاءت في أزمانٍ معيَّنة، ومن ثمَّ هي مرتبطة بتاريخ

نزولها والوقائع التي نزلت فيها، فهي جاءت لتعالج الشؤون والأحداث التي رافقت عصر النزول، أمَّا اليوم فلم تعد تقدِّم الحلول الناجعة - بحسب زعمهم -، وأنَّ إنسان اليوم قد تكامل عقله وبإمكانه تشريع القوانين الكفيلة بمعالجة الحالات التي تواجهه على اختلاف الأصعدة، الاجتماعيَّة، السياسيَّة، الدينيَّة، الدنيويَّة و... وسنرى في طيَّات هذا البحث إشارة أهل البيت عليهم السلام إلى أنَّ هذا القرآن ليس لقوم دون قوم، ولا لزمان دون زمان، ومن ثمَّ فإنَّ ذلك يستدعي أن تكون له الحاكميَّة على البشر أجمعهم، وذلك عبر إرسائهم عليهم السلام لقاعدة تعدُّ من أهمِّ القواعد القرآنيَّة، وهي قاعدة (الجري والانطباق).

إشكاليَّة البحث:

يتَّضح ممَّا سبق أنَّ إشكاليَّة البحث تكمن في الإجابة عن شبهة تاريخيَّة القرآن الكريم، المثارة من قبل الحداثيين والساعية إلى تجميد الآيات القرآنيَّة وحصر دلالاتها في زمان نزولها.

أهداف البحث:

يسعى البحث لبيان خواء شبهة الحداثيين، عبر الاستدلال بالنُّصوص القرآنيَّة والروائيَّة على وهن مدَّعاهم.

منهج البحث:

سيعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي، وسيستضيئ بالآيات القرآنيَّة الشريفة وبأقوال العترة الطاهرة عليهم السلام، وكذلك سينقل كلمات علماء التفسير في هذا الشأن.

هيكليَّة البحث:

اقتضى البحث أن يكون في مقدِّمةٍ وتمهيد ومباحث ثلاث وخاتمة بالنتائج، ثمَّ المصادر والمراجع.

التمهيد: جاء على ذكر الإطار المفاهيم للمصطلحات الواردة في عنوان البحث.

المبحث الأوَّل، فكان حول الحداثيون وشبهة تاريخيَّة القرآن، وقد ضمَّ ثلاثة مطالب، جاء المطلب الأوَّل في تعريف الحداثة والحداثيون، وفي المطلب الثاني تمَّ عرض المنطلقات الفكريَّة للحداثيين، أمَّا المطلب الثالث فتناول شبهة تاريخيَّة القرآن الكريم، وفي المطلب الرابع تمَّ ذكر القائلون بهذه الشبهة من المستشرقين والحداثيين.

وجاء المبحث الثاني في ذكر أدلَّة قاعدة الجري من القرآن والسُّنَّة، وذلك في مطلبين.

أمَّا المبحث الثالث فقد عرض الباحث فيه بعض ثمرات هذه القاعدة وأهميَّتها، في مطلبين.

وختمت البحث بالنتائج التي توصَّلت لها، مع قائمة المصادر والمراجع.

وإيَّاه سبحانه أسأل أن أكون وفَّقت فيما طرحت، وأن ينفع الله تعالى به أبناء المجتمع.

الباحث

تمهيد

الإطار المفاهيمي لمصطلحات البحث

في البدء، لابدَّ من إيضاح أهمِّ المصطلحات الواردة في عنوان البحث، وهي: (تاريخيَّة القرآن الكريم، الحداثيون، قاعدة الجري والانطباق).

١ - تاريخيَّة القرآن الكريم:

هناك تعريفان لهذا المصطلح:

الأوَّل: يقصد من التاريخيَّة (أنّ جميع الأشياء حينما نصفها بالتاريخيَّة، فنعني من ذلك أنَّ لها وجود حقيقي، أي أنَّه وُجد فعلًا وجودًا تأريخيًّا يتحدَّد بالزمان والمكان، وليس مجرَّد وجود افتراضي أو أسطوري)، في الحقيقة، وإذا ما توخَّينا الدِّقَّة أكثر، فإنَّ هذا المعنى ينطبق عليه وصف (التاريخيَّة)، أمَّا ما يذهب إليه الحداثيون فهو (التاريخانيَّة)[١].

الثاني: يعرَّف التاريخيَّة بأنَّها "مذهب يقرِّر أنَّ القوانين الاجتماعيَّة تتَّصف بالنسبيَّة التاريخيَّة، وأنَّ القانون من نتاج العقل الجمعي وتعمِّم ذلك في الشرائع الإلهيَّة أيضًا"[٢].

إذن، فهم يرون أنَّ القوانين ناتجة من العقل الجمعي، ومن ثمَّ فهي لا تتعالى على النقد، وخاضعة للشروط الزمكانيَّة، وهذا القول يشمل حتَّى الشرائع السماويَّة!!

جدير بالملاحظة، أنَّ كثيرًا من الكتَّاب والباحثين الحداثيين يطلقون لفظ (التاريخيَّة)، ويريدون منها (التاريخانيَّة). والواقع أنَّ بين (التاريخيَّة) و(التاريخانيَّة) اختلاف في الدَّلالة، إلَّا أنَّ الأغلب درج على إطلاق لفظ (التاريخيَّة) وإرادة (التاريخيانية)، فالتاريخانيَّة عند الحداثيين هي ربط الآيات الكريمة بزمان نزولها، إذ لا تتعدَّى زمن النزول، ومن ثمَّ فإنَّ ما فيها من

١ عمارة، محمَّد. النص الإسلامي بين التاريخيَّة والاجتهاد والجمود (نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦)، ٤.
٢ عمارة، ٤.

أحكامٍ وأوامرٍ ونواهٍ إنَّما هي مرتبطة بزمان نزولها فحسب.

٢-الحداثيون: يُطلق على مجموعة من الكتاب والمفكِّرين والمثقفين الذين تبنُّوا فكر الحداثة (Modernism) ونشروه، وهذا الفكر يقوم على ركائز عدَّة، منها (الذاتيَّة، العقلانيَّة، العدميَّة)[٣].

٣ – قاعدة الجري والانطباق:

تبتني هذه القاعدة بشكل عام على أصالتي العموم والإطلاق واللتان هما من الأصول اللفظيَّة العقلائيَّة في تعيين المعنى المراد. وعليه فقد عرَّفوا القاعدة بأنَّها: "سريان بطن القرآن وجريان المعنى المراد من متشابهات الآيات في مصاديقها الطوليَّة الحادثة بعد عصر الوحي في طيِّ القرون والأعصار"[٤].

وبعبارة أخرى: هي تطبيق مفاد آيةٍ من الآيات القرآنيَّة التي نزلتْ في شأنٍ من معيَّن، على شأنٍ آخر لم يكن قد وقع في عصر النصِّ، أو لم يكن منشأً للنزول؛ ولكنَّه يشترك مع ذلك الشأن أو الحدث بالخصوصيات نفسها، ومن ثمَّ فإنَّ الزمان والمكان لا مدخليَّة لهما في تقييد الأحكام.

المبحث الأوَّل

الحداثيون وشبهة تاريخيَّة القرآن

أثار الحداثيون شبهاتٍ كثيرة حول القرآن الكريم، منها: (تاريخيَّة القرآن، أنسنة القرآن، عقلنة القرآن، و...)؛ سيعرض الباحث في هذا المبحث إلى التعريف بالحداثيين، وإلى بيان شبهة (تاريخيَّة القرآن)، وأبرز القائلين بها، وكما يأتي:

المطلب الأوَّل: الحداثة وفوضى التعريفات:

أوَّل ما يلحظه الباحث حول مصطلح (الحداثة) و(الحداثيون) هو كثرة التعريفات غير المنسجمة مع بعضها، فضلًا عن اختلاف الآراء في تحديد المدَّة الزمنيَّة لظهور هذا المصطلح.

هذا الأمر يتَّضح جليًّا حينما نقرأ تعريف الحداثة عند بودلير؛ إذ يربطها بالجمال الدائم والأبدي فيقول: "هي الحضور الأبدي في الآني والمؤقت. هي الجمال الموجود في الموضة التي

٣ السلطاني، حكيم "القراءة الحداثية للنص القرآني" (أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كليَّة الآداب – قسم اللغة العربية / جامعة الكوفة، ٢٠١٦)، ٨ – ٩.

٤ المازندراني، علي أكبر .دروس تمهيديَّة في القواعد التفسيريَّة (قم المقدسة: مؤسَّسة النشر الإسلامي، ١٤٣١)، ٢١١.

تتغيَّر في كلِّ فصلٍ من الفصول"[٥].

فالحداثة عنده عشق لكلِّ ما هو جميل وفاتن في الموضة.

والحداثة عند (بيتر سلوترديك) هي باعث على الحركة، يقول: "حركة ذاتيَّة تولِّد نفسها بشكلٍ ذاتيٍّ، والتقدم هو حركة لأصل الحركة، إنَّها حركة تستهدف زيادة القدرة على التحرك"[٦].

وعند (ميشيل فوكو) هي: "تصوّر معيَّن للحاضر الذي نعيش فيه"[٧].

وعند (هنري لوفيفر) هي: "الجديد من أجل الجديد"[٨].

وعند (آلان تورين) هي: "الدِّفاع عن الذَّات بقدر ما هي عقلنة"[٩].

وبالنظر إلى التعريفات أعلاه، يتَّضح أنَّه ليس ثمَّت اتفاق على تعريف الحداثة؛ بل كلٌّ يراها طبق رأيه، فهي: موضة، حركة، تصور للحاضر، الجديد، الدفاع عن الذات، و...!!

وهذا الاختلاف الكبير في التعريفات يمتدُّ ليشمل وقت ظهور هذا المصطلح.

والسؤال: متى ظهرت الحداثة وتبلورت بمعناها المتداول اليوم، الذي يحمل مقولات حول الفكر والمجتمع والدين؟

أيضًا – وكما أسلفت – هناك تضارب كبير في تحديد المدَّة الزمنيَّة لظهور هذا المصطلح، فالمفكر الأمريكي البراجماتي (ريتشارد روتي) يُلحق الحداثة بفكر ديكارت (١٥٩٦ – ١٦٥٠م)، والمفكِّر الألماني (يورغن هابرماس) يربطها بعصر الأنوار (القرن الثامن عشر الميلادي)، والناقد الأدبي الأمريكي (فريدريك جيمسون) يحدد تاريخ ميلادها في النصِّ الأوَّل من القرن العشرين[١٠].

وممَّا تقدَّم، يظهر بوضوح مدى التخبط في تحديد مصطلح الحداثة على صعيد الدَّلالة والنشأة، فالمصطلح فضفاض، وكلٌّ يذكره ويقصد منه معنًى في ذهنه! كما هو الحال في مصطلح الإرهاب، كلٌّ يحدّده على وفق ما يراه مناسبًا وما تقتضيه المصلحة!

لكن، من طريق ما يكتبه ويعرضه الحداثيون اليوم، فهم يشيرون بوضوح أنَّ مرادهم

٥ تورين، آلان. نقد الحداثة، ترجمة: أنور مغيث (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧)، ١٤١.
٦ خريسان، باسم علي. ما بعد الحداثة دراسة في المشروع الثقافي الغربي، ط١ (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٦)، ٤٥.
٧ الشيخ محمد، الطائري، ياسر. مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، ط١ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٦)، ٢٣.
٨ لوفيفر، هنري. الحداثة، ترجمة كاظم جهاد، ط١ (بيروت: دار ابن رشد للطباعة والنشر، ١٩٨٣)، ١٥.
٩ تورين، نقد الحداثة، ٢٠٨.
١٠ الشيخ محمد، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، ١٠.

من التاريخيَّة القرآنيَّة هي انحصار أحكام آيات الكتاب العزيز بزمان نزولها؛ لأنَّها جاءت إجابات على الحوادث التي استدعت نزولها بحسب زعمهم.

المطلب الثاني: المنطلقات الفكريَّة للحداثيين:

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الحداثة هي حركة (فكريَّة) نشأت في بلاد الغرب على الاختلاف في تحديد نشأتها، وبلغت ذروتها في القرن العشرين، وجاءت نتيجة لتراجع السلطة الدينيَّة في الغرب، وذلك في أعقاب الثورة الفرنسيَّة؛ إذ ولدت مفاهيم جديدة تقوم على العقلانيَّة والعلمانيَّة والفردانيَّة.

وإذا ما أردت الإشارة إلى بعض المنطلقات الفكريَّة للحداثيين، فهم يؤمنون بأن لا وجود لثوابت مطلقة؛ بل هي مفاهيم ينبغي مراجعتها ونقدها؛ لذا فهم يدعون إلى:

أ - القطيعة مع التراث، فهم يعتبرونه موروثًا فكريًّا، على الخصوص التُّراث الدِّيني والأدبي، فينبغي إعادة قراءته على وفق مناهجهم النقديَّة.

ب - مركزيَّة الإنسان والعقل. صرَّحوا بأنَّ الإنسان هو مركز هذا الكون، وأنَّ العقل هو المصدر للمعرفة البشريَّة، وقادهم هذا القول إلى إنكار ما وراء الطبيعة، واعتمادهم الحس والتجريب.

ج - الفردانيَّة، فقد نادوا بإطلاق الحريَّات الفرديَّة بشكلٍ منفلت، وعدُّوا ذلك أساسًا وحقًّا طبيعيًّا للإنسان.

د - النسبيَّة في المعارف، إذ شكَّكوا في وجود حقائق مطلقة وثابتة، وربطوا المعرفة بسياقها التاريخي والاجتماعي[١١].

المطلب الثالث: شبهة (تاريخيَّة القرآن):

في البدء لابدَّ من إلقاء الضوء حول المراد من (تاريخيَّة القرآن) التي ينادي بها الحداثي، ومن ثمَّ سيتبيَّن مدى خطورة هذه الشُّبهة؛ إذ أنَّ التاريخيَّة "هي من العناوين والصفات التي إذا أُضيفت إلى شيءٍ آخر، فإنَّها كناية عن زمانيَّة ذلك الشيء وعرضيَّته، من حيث إنَّه وليد ظروف وأوضاع معيَّنة، وأثره وفاعليَّته تكون ضمن تلك الظروف. أمَّا في غير تلك الظروف والأوضاع والأزمان الأخرى، فإمَّا أن لا يكون له أثر وفاعليَّة البتَّة، وإمَّا أن يفتقد فاعليَّته في

١١ هيأة التحرير، "الحداثة وما بعد الحداثة،" مجلة الاستغراب السنة الأولى (٢٠١٥): ٣٢٢.

زمانه وتتحوَّل ماهيَّته إلى ماهيَّة أخرى مختلفة"[١٢].

إذن، فالحداثي يؤمن بأنَّ القرآن وُلد نتيجة ظروف معيَّنة، وتأثيره إنَّما يكون في تلك الظروف، أمَّا غيرها فلا!! لأنَّه سيكون عديم الأثر بسبب تغيُّر الظروف والأزمنة!!

خلاصة هذه الشبهة – التي هي قديمة في طرحها، حديثة في تبنِّيها – أنَّ تعاليم القرآن وتشريعاته، لم تعد تتلاءم مع إنسان اليوم، فهي مختصَّة بزمانها ولا تتعدَّاه، وأنَّ العقل البشري قد تكامل، وبإمكانه سنّ القوانين ووضع النظريَّات التي تتماشى مع عصره الراهن، ولم يعد إنسان اليوم بحاجة إلى وصايةٍ من أحد، ومن ثمَّ فلا داعي للأخذ بتعاليم هذا القرآن وتشريعاته؛ إذ هو يخاطب إنسان زمانه، لا إنسان اليوم، وهذا ما يطلق عليه بـ(تاريخيَّة القرآن الكريم) التي نادى بها الحداثيون؛ بل وصلت بهم الوقاحة إلى القول إنَّ القرآن منتج ثقافي بشري وليس آيات غير قابلة للنقض!!

يذهب أركون إلى أنَّه أوَّل من تحدَّث عن تاريخيَّة القرآن بشكلٍ صريح؛ يقول: "أريد لقراءتي هذه أن تطرح مشكلة لم تطرح عمليًا قط بهذا الشكل من قبل الفكر الإسلامي، ألا وهي تاريخيَّة القرآن، وتاريخيَّة ارتباطه بلحظة زمنيَّة وتاريخيَّة معيَّنة، حيث كان العقل يمارس آليَّته وعمله بطريقة محدَّدة"[١٣].

فـ(أركون) يصرِّح بأنَّها مشكلة عمليَّة لم تُطرح من قبل في الفكر الإسلامي، وأنَّه أوَّل من طرحها. وهذا نصٌّ صريح ودليل واضح من أركون على أنَّ الحداثيين هم من نقلوا شبهات المستشرقين وبثُّوها في أوساط المجتمع الإسلامي؛ إذ قد سبقه المستشرقون إلى ذلك، وهو بلا شكّ أخذها عنهم؛ إذ أمضى سنواتٍ طوال من دراسته في جامعات الغرب، وتلمَّذ على أيدي المستشرقين.

وبالذهاب إلى حداثيٍّ آخر، نجد أن (علي حرب) يصرِّح وبشكلٍ علني أنَّ هدف القراءة الحداثية هو نزع القداسة عن القرآن الكريم، يقول: "فكيف نقرأ النصوص قراءة نقديَّة تاريخيَّة، ونزعم أنَّنا لا ننزع عنها صفة التَّعالي والقداسة؟ لا مجال إذًا للمداورة والالتفات؛

١٢ الشريف، عادل محمَّد. تاريخية النص الديني، ط١ (كربلاء المقدسة: مؤسَّسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية، ٢٠١٩)، ٢١.
١٣ أركون، محمد. الفكر الإسلامي قراءة علمية، ط١ (بيروت: مركز الإنماء القومي، ١٩٩٦)، ٢١٢.

بل الأحرى والأَوْلَى مجابهة المشكلة بدلًا من الدوران حولها"[١٤]، فآيات القرآن الكريم عنده ظاهرة تاريخيَّة حدثت في زمانٍ ما، ولا تحمُّل أيّ قداسة، هكذا - وبكل وقاحة - يعلن (علي حرب) عن أهدافه، والعجب من بعض الباحثين في وسطنا المسلم إذ يحاول تلميع مقولاتهم أو تخفيف دلالاتها الباطلة، في محاولة بائسة لاسترضائهم وإرجاعهم إلى طريق الحق!!

وهذا ما أكَّد عليه (هاشم صالح) تلميذ أركون ومترجم كتبه إذ يقول: "آنَ الأوانُ للكشفِ عن تاريخيَّة النصِّ القرآني وإنزاله من تعاليه الفوقي إلى الواقع الأرضي المحسوس، آنَ الأوانُ للكشفِ عن علاقته بظروف محدَّدة تمامًا في شبه الجزيرة العربيَّة وفي القرن السابع الميلادي"[١٥]!!

هكذا وبكلِّ وقاحة وجرأة يعبِّر هاشم صالح عن مشروع الحداثة الحقيقي. باعتقادي أنَّه آن الآوان للتصدِّي لهذه الهجمة الغربيَّة، التي جاءت بلباس عربي (حداثي)، آن الأوان أن نعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه من النقد العلمي الصريح، غير المبتني على المجاملة والتعمية والتستر والتماس الأعذار الواهية، آن الأوان لتعرية أفكارهم، وكشف نواياهم، من دون أن تأخذنا في دين الله لومة لائم، فالحق أحقُّ أن يُتَّبع.

لذا؛ وحينما شعر الحداثيون بانكشاف نواياهم في (تاريخيَّة النص) وسوء ما يدعون له، سارع بعض الحداثيين لتحسين صورة الحداثة وتلميعها، عبر استعمال ألفاظ أخفّ وطأة، من قبيل قول شبستري الذي يومئ إلى أنَّ هدف القراءة الحداثية إنَّما هو إعادة فهم النصوص القرآنيَّة لتتناسب مع عصرنا، يقول: "إنَّ كلَّ قول أو كتابة تظهر في ظروف تاريخيَّة معيَّنة... فإنَّ إفادته للمعنى مشروطة بتلك الظروف وذلك العالم، فلو أنَّ تلك الظروف والعالم التاريخي قد تغيَّر، فإنَّ ذلك المعنى يتغيَّر ولا يكون ثابتًا، وإنَّ ذلك القول أو النصِّ المكتوب سيكون له معنًى آخر"[١٦].

ونلحظ قوله (كل قول أو كتابة)، وما في لفظه هذا من تعميم، لم يردفه باستثناء، وبناءً على كلامه، فإنَّ ما يفيده القرآن والحديث النبوي من معانٍ إنَّما هي مشروطة بزمانها وظروفها

١٤ حرب، علي نقد النص (المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ٢٠٠٥)، ٧٧.
١٥ صالح، هاشم. الإسلام والانغلاق اللاهوتي (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠١٠)، ٣٧٥.
١٦ شبستري، محمَّد مجتهد "القراءة النبوية للعالم،" مجلة قضايا إسلاميَّة معاصرة، العدد ٥٩-٦٠ (٢٠١٤): ٢٩٧ - ٢٩٨.

التي جاءت فيه! واليوم لابدَّ من تجديد النظر والبحث عن معانٍ أُخرى يفيدها النصّ غير تلك المعاني، في محاولة من شبستري للتخفيف من وطأة ما صرَّح به الحداثيون؛ لذا ذهب بعضهم إلى تقسيم الحداثيين إلى متطرِّفين، يقولون بإقصاء القرآن الكريم من الحياة المعاصرة، بوصفه نصًّا تأريخيًا محكومًا بزمانٍ مضى، كما صرَّح بعضهم بذلك، وآخرين (معتدلين) يصرِّحون بأنَّه نصٌّ تأريخيٌّ ولابدَّ من إعادة فهمه على وفق متطلَّبات المرحلة التي يعيشها إنسان اليوم.

المطلب الرابع: القائلون بشبهة تاريخيَّة القرآن من المستشرقين والحداثيين:

تمتدُّ جذور القول بالتاريخيَّة إلى المستشرقين، وما الحداثيون إلَّا صدى للمستشرقين، ومن المعلوم أنَّ أركون لم يكن أوَّل من طرح هذه الشبهة؛ بل هي شبهة غربيَّة صرفة، طُرحت قبل أركون بمئات السنين؛ لذا سأذكر هنا من قال بهذه الشبهة من المستشرقين، ثمَّ الحداثيين.

أ - المستشرقون:

١ - الحاخام الألماني (إبراهم جايجر) (١٨١٠ - ١٨٧٤): ويعدُّ من أوائل المستشرقين الذين درسوا القرآن من منظور تاريخي، وذلك في كتابه (ما تلقاه محمد من اليهودية)، الذي زعم فيه أنَّ القرآن تأثَّر بالتُّراث اليهودي والمسيحي، وأنَّه منتج ثقافي وليس بوحي.

٢ - شيخ المستشرقين الألمان تيودور نولدكه (١٨٣٦ - ١٩٣٠): وقد درس القرآن من منظور تأريخي، وكتابه الشهير في هذا الصدد هو (تاريخ القرآن)، الذي اعتبر أنَّ القرآن نتاج تطوّر تاريخي تدريجي.

٣ - أستاذ اللغة العربية بجامعة ادنبرا (ريتشارد بل) (١٨٧٦ - ١٩٥٢)؛ إذ حاول في كتابه (مقدِّمة في القرآن) أن يفكِّك النص القرآني ويدرسه كنصٍّ مركَّب خاضع للتعديل عبر الزمن.

٤ - المؤرِّخ الأمريكي (جون وانسبرو) (١٩٢٨ - ٢٠٠٢) ويعدُّ الأكثر تطرُّفًا في القول بتاريخيَّة القرآن في كتابه (الدراسات القرآنيَّة)؛ إذ زعم أنَّ القرآن تشكَّل تدريجيًّا في القرنين الأولين للإسلام، وأنَّه نتاج صراعات بين الجماعات المسلمة المبكرة.

وغيرهم من المستشرقين، ممَّن سعوا إلى وسم القرآن بالتاريخيَّة.

وممّا ذُكر آنفًا، يتبيَّن أنَّ شبهة التاريخيَّة هي شبهة غربية، تلقَّفها أركون وغيره من المستشرقين.

ب – الحداثيون العرب:

إذا ما أردنا الإشارة إلى بعض الحداثيين العرب، الذين تبنُّوا هذه الشبهة الاستشراقيَّة، وبدأوا يطبِّلون لها ويزمِّرون في أوساط مجتمعنا المسلم، فيمكن أن نذكر منهم:

١ – (علي حرب): يقول: "فكيف نقرأ النصوص قراءة نقديَّة تاريخيَّة، ونزعم أنَّنا لا ننزع عنها صفة التَّعالي والقداسة؟ لا مجال إذًا للمداورة والالتفات؛ بل الأحرى والأَوْلَى مجابهة المشكلة بدلًا من الدوران حولها"[١٧].

٢ – (طيِّب تيزيني): إنَّه "نصٌّ لغويٌّ تاريخيٌّ مثل أيّ نصٍّ آخر، وكونه ذا أصل إلهيّ لا يتيح النَّظر إليه على أنَّه ذو خصوصيَّة منهجيَّة تنْأَى به عن مناهج البحث العلمي المعتادة، لتلحّ على منهجٍ إلهيٍّ خاصٍّ به"[١٨ ١٩].

٣ – (هاشم صالح): تلميذ أركون ومترجم كتبه: "آنَ الأوانُ للكشفِ عن تاريخيَّة النصِّ القرآني وإنزاله من تعاليه الفوقي إلى الواقع الأرضي المحسوس، آنَ الأوانُ للكشفِ عن علاقته بظروف محدَّدة تمامًا في شبه الجزيرة العربية وفي القرن السابع الميلادي"[٢٠].

وغيرهم ممَّن لا يرى الباحث فائدةً في سرد أسمائهم أو نقل أقوالهم الهزيلة.

هذه الدعوات الاستشراقيَّة في أصولها، الحداثوية في إحيائها والدعوة لها، تعرَّضت بالقدح لأعظم كتاب نقدِّسه، وهو مصدر تشريعاتنا. وقد وجدت تلك الدعوات الباطلة حاضنة في بيئتنا ومحيطنا الإسلامي، إذ تلقَّفها بعض الكتَّابُ المعاصرين العرب وغير العرب وبدأوا الترويج لها.

---

١٧ حرب، نقد النص، ٧٧.

١٨ تيزيني، الطيب. النصّ القرآني أمام إشكاليَّة البنية والقراءة (دمشق: دار الينابيع، ١٩٩٧)، ٣٧٣-٣٧٤-٣٧٩.

١٩ أبو زيد، نصر حامد .نقد الخطاب الديني (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣)، ١٧٤ – ١٧٥.

٢٠ صالح، الإسلام والانغلاق اللاهوتي، ٣٧٥.

المبحث الثاني

أدلَّة قاعدة الجري والانطباق

تحظى قاعدة الجري بأدلَّةٍ متينة تستمدُّ قوَّتها من كتاب الله العزيز، والسنَّة النبويَّة الشريفة، وهذا ما سيتمُّ عرضه في هذا المبحث، عبر المطلبين الآتيين:

المطلب الأوَّل: أدلة قاعدة الجري في القرآن الكريم:

هناك آيات عديدة صرَّحت بأنَّ تشريعات هذا القرآن الكريم إنَّما هي تشريعات تشمل البشر أجمعهم، وأنَّ هذا الكتاب المجيد له الهيمنة على باقي الكتب السماوية، من تلك الآيات:

- قال سبحانه: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـذَا الْقُـرْآنُ لِأُنْذِرَكُـمْ بِـهِ وَمَـنْ بَلَـغَ﴾ (الأنعام: ١٩)، يقول العلَّامة الطباطبائي: "فقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـذَا الْقُـرْآنُ لِأُنْذِرَكُـمْ بِـهِ وَمَـنْ بَلَـغَ﴾ يدلُّ على عموم رسالته ﷺ بالقرآن لكلِّ من سمعه منه، أو سمعه من غيره، إلى يوم القيامة"[٢١].
- قال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (التكوير: ٢٧-٢٨). "وهذه الدعوة عامَّة للجميع، ومائدة واسعة للعام والخاص وكل البشريَّة"[٢٢]، فهذا الذكر (القرآن) شامل لكلِّ الناس، كما هو واضح من الآية الشريفة التي جاءت من دون أي تخصيص أو تقييد. وهو "تذكرة لجماعات الناس كائنين من كانوا يمكنهم بها أن يتبصروا للحق"[٢٣].
- وهكذا الآيات الشريفة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥)، فالآية تصرِّح بأنَّ الباري أنزله (هدى للناس) أجمع.
- قال سبحانه: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُـرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِـهِ﴾ (الإسراء: ٨٨)، وقوله سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور: ٣٣-٣٤). وهذا التحدِّي مستمرّ إلى قيام الساعة، وموجّه إلى البشر أجمعهم، ممَّا يدلُّ على خلود القرآن الكريم، ومن ثمَّ خلود أحكامه وتشريعاته الشاملة لجميع أجمعهم.

---

٢١ الطباطبائي، محمَّد حسين. الميزان في تفسير القرآن (قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلميَّة في قم المقدَّسة، د.ت.)، ٧/ ٤١.
٢٢ الشيرازي، ناصر مكارم. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، د.ت.، ٧/ ٣١٤.
٢٣ الكلانتري، إلياس .مختصر الميزان في تفسير القرآن (طهران: انتشارات أسوة، ١٤٢١)، ٦/ ٦١٩.

- قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣). وهذا الظهور على الدين كلِّه، يستلزم خلود الكتاب العزيز وتشريعاته على مرِّ العصور.

وغيرها من الآيات الشريفة، التي تدلُّ دلالة واضحة على أنَّ هذا القرآن هو كتاب الله لجميع البشر، ولا يختصُّ بقومٍ دون قوم، أو فئة دون فئة، أو زمانٍ دون زمان.

المطلب الثاني: أدلَّة القاعدة في السنَّة الشريفة:

تعدُّ سنَّة المعصوم عليه السلام المصدر الثاني للعلوم والمعارف، وتأسيسًا على ذلك، فإنَّ (قاعدة الجري والانطباق)، وإن لم تأتِ بهذا الاسم في لسان الروايات، إلَّا أنَّ المعنى المراد من كلمات أهل البيت عليهم السلام حدا بعلماء التَّفسير والباحثين صياغة هذا الاسم للقاعدة، نعم، وردت لفظة (الجري) في كلمات أهل البيت عليهم السلام، وتعدُّ هذه من القواعد الرئيسة في تفسير كتاب الله العزيز؛ إذ تعطي للقرآن الكريم سمة الخلود، فلا يحدُّه عاملا الزَّمان والمكان، وهذا ما جاء في أحاديث العترة الطاهرة، والتي سنذكر بعضًا منها:

١ - عن عبد الرحيم القصير قال: ((كنت يومًا من الأيام عند أبي جعفر عليه السلام، فقال: يا عبدالرحيم، قلت: لبيك، قال: قول الله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾؛ إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا المنذر وعلي الهادي، من الهادي اليوم؟ قال: فسكتُّ طويلًا، ثمَّ رفعت رأسي فقلت: جعلت فداك هي فيكم توارثونها رجل فرجل حتَّى انتهت إليك، فأنت - جعلت فداك - الهادي، قال: صدقت يا عبدالرحيم، إنَّ القرآن حيٌّ لا يموت، والآية حيَّة لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام ماتوا ماتت الآية، لمات القرآن ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين. وقال عبدالرحيم: قال أبو عبدالله عليه السلام: إنَّ القرآن حي لم يمت، وإنَّه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما يجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا"[٢٤].

٢ - وعن إمامنا الباقر عليه السلام أيضًا، في تفسير العياشي، عن الفضيل بن يسار قال: "سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية: ما في القرآن آية إلَّا ولها ظهر وبطن، وما فيها حرف إلا وله حد، ولكل حد مطلع ما يعني بقوله: ظهر وبطن؟ قال: ظهره تنزيله وبطنه تأويله، منه

٢٤ المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار (بيروت: مؤسسة الوفاء، د.ت.) ٣٥/ ٤٠٤.

ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر كما جاء تأويل شيء منه يكون على الأموات كما يكون على الاحياء، قال الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، نحن نعلمه"[٢٥].

٣ - وروي عن إمامنا الصادق عليه السلام: "إنّ القرآن حيٌّ لم يمت، وإنّه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما يجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا"[٢٦].

والنكتة في الرواية رائعة، فالليل والنهار والشمس والقمر يراهما أهل الأرض كلّهم، فهما غير مختصّين بقومٍ دون قوم، هذا أوّلًا، وثانيًا أنَّ الليل والنهار والشمس والقمر مستمرَّان مطَّردان حتَّى قيام الساعة، أي لا يخلو منهما زمان أو مكان، ويراهما الناس أجمع، وقد دلَّ هذا الربط عبر استعمال (الليل والنهار، الشمس والقمر) على حاكميَّة القرآن وهيمنته، وما أبلغه من ربطٍ جاء على لسان أئمَّة الهدى عليهم السلام، ولا عجب، فهم أهل القرآن وخاصَّته.

سأكتفي بهذا القدر من الروايات الشريفة رعاية للاختصار في البحث، وإلّا فروايات الجري كما يقول العلَّامة الطباطبائي تبلغ المئين[٢٧].

٢٥ العياشي، محمد بن مسعود. تفسير العياشي (طهران: المكتبة العمية الإسلاميَّة، د.ت.)، ١/ ١١.
٢٦ المجلسي، بحار الأنوار، ٣٥/ ٤٠٤.
٢٧ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١/ ٤٢.

المبحث الثالث

ثمرات قاعدة الجري والانطباق وأهميتها

لقد أفاد علماء الإماميَّة من الروايات الصادرة عن أهل بيت العصمةﷺ التي أسَّست لقاعدة الجري والانطباق، وأعملوا هذه القاعدة في تفاسيرهم. من أبرز العلماء الذين وظَّفوا هذه القاعدة في تفاسيرهم واعتمدوا عليها بشكلٍ كبير هو العلَّامة الطباطبائي، الذي صرَّح بذلك قائلًا: "واعلم أنَّ الجري – وكثيرًا ما نستعمله في هذا الكتاب – اصطلاح مأخوذ من قول أئمَّة أهل البيتﷺ"[٢٨]، وهكذا الشيخ جوادي الآملي اعتمد على هذه القاعدة كثيرًا في تفسيره للآيات الشريفة[٢٩]، وغيرهم من علمائنا الأعلام، وهنا أودُّ الإشارة إلى بعض ثمرات هذه القاعدة وأهمِّيتها، عبر المطلبين الآتيين:

المطلب الأوَّل: ثمرات قاعدة الجري والانطباق:

بعد التأمُّل في قاعدة الجري ودلالاتها، يمكن استنتاج ثمرات لهذه القاعدة، ومنها:

١ – أنَّ لقاعدة الجري أثرًا في توسعة المدى الذي تنطبق عليه الآيات، بعد تجريد الآية من خصوصيَّات الحادثة التي نزلت فيها، وذلك بأن يصار إلى معرفة مناط الآية وعمَّ تتحدَّث. عن هذه الثمرة يقول العلَّامة الطباطبائي: "إنَّ للقرآن اتِّساعًا من حيث انطباقه على المصاديق وبيان حالها، فالآية منه لا تختصُّ بمورد نزولها؛ بل تجري في كلِّ موردٍ يتَّحد مع مورد النزول ملاكًا، كالأمثال التي لا تختص بمواردها الأوَّل؛ بل تتعدَّاها إلى ما يناسبها"[٣٠].

يشير العلَّامة إلى أثر هذه القاعدة التفسيريَّة في توسعة المعاني وسراية الألفاظ إلى المصاديق الخارجيَّة، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وتبعًا لذلك، فالجري أشبه شيءٍ بالأمثال، فكما أنَّ المثل في بداية الأمر، نشأ بسبب حدثٍ أو واقعةٍ معيَّنة، إلَّا أنَّ تلك الواقعة؛ وذلك الحدث لم يكونا سببًا في حصر ذلك المثل بتلك الواقعة.

٢ – أنَّ آيات القرآن الكريم لا يحدُّها زمان أو مكان، وعليه فإنَّ أحكامه وإرشاداته وأوامره ونواهيه تسري على غيرها من الحالات والأحداث المشابهة، فالقرآن الكريم لم يأتِ لقوم

٢٨ الطباطبائي، ١/ ٤١.
٢٩ الآملي، عبدالله الجوادي .تفسير تسنيم (بيروت: دار الاسراء للطباعة والنشر، ٢٠١١)، ٥/ ٦٤٠ و ٦/ ٢٦٢ و ٩/ ٥٦٤.
٣٠ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣/ ٦٧.

دون قوم، أو لزمانٍ دون زمان، وبعبارة أخرى: إسقاط مفاد الآيات الشريفة التي نزلت في واقعةٍ معيَّنة على وقائع أخرى في زمان ومكان آخرين، بمعنى أنَّ سبب النزول لا يكون بحالٍ من الأحوال مقيِّدًا لتلك الآيات بذلك الشأن الذي نزلت فيه.

٣ - تعطي هذه القاعدة مساحة واسعة للمفسِّر والفقيه في التطبيق واستنباط الأحكام، لا سيَّما عند ظهور مسائل غير منصوص عليها بشكلٍ صريح، أو ما يسمَّى بـ(مستحدثات المسائل) في جميع الأبواب الفقهيَّة، ما يجعل القرآن الكريم يساير الإنسان في حركته، وما يطرأ من وقائع وأحداث جديدة بحاجة إلى أجوبة، الأمر الذي يجعل التشريع أكثر مرونة وقابليَّة في التكيف مع ما يستجدُّ من مسائل.

هذه بعض الثمرات، وإلَّا فهناك ثمرات أُخرى أعرضت عنها رعاية للاختصار.

هنا، لابدَّ من الإشارة إلى أمرٍ غاية في الأهميَّة، وهو:

ليس بمقدور عامَّة الناس التعاطي مع قاعدة الجري والانطباق؛ إذ أنَّ إعمال هذه القاعدة بحاجة إلى فهم الآيات الشريفة، وكذا بحاجة إلى التوافر على جملة من العلوم اللغويَّة والقرآنيَّة، وكذا ما ينبغي تحقّقه من شروط في المفسِّر، ومن ثمَّ اتِّباع طرق تطبيق هذه القاعدة.

أيضًا، هناك بعض الآيات الشريفة لا يمكن تطبيق هذه القاعدة عليها، لا سيَّما في مثل الآيات التي نزلت في أشخاصٍ بعينهم، كما في قوله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**﴾ (الفتح: ٢٩)، أو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾ (التوبة: ١١٤)، أو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥)؛ إذ نصَّ علماؤنا الأعلام على أنَّها نزلت في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومن ثمَّ فهذه الآيات غير قابلة للجري والانطباق؛ لأنَّ قضاياها من القضايا المحصورة* [٣١].

لذا؛ فقد أشار علماؤنا الأعلام إلى شروط إعمال هذه القاعدة، والضوابط التي ينبغي مراعاتها عند تطبيق القاعدة، أذكر منهم: العلَّامة الطباطبائي[٣٢]، والشيخ محمَّد هادي معرفة[٣٣]، والشيخ الآملي[٣٤].

---

٣١ الحيدري، رائد . المقرر في توضيح منطق المظفر (قم المقدسة: ذوي القربى، ١٤٢٢هـ)، ٢/ ٢٧.

٣٢ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١/ ٤١؛ ٣/ ٧٢، وغيرها.

٣٣ معرفة، محمد هادي. التفسير الأثري الجامع(قم المقدسة: مؤسسة التمهيد، ٢٠٠٨)، ١/ ٢٥.

٣٤ الآملي، تفسير تسنيم، ١/ ١٦٧.

* تقسم القضايا الحملية باعتبار موضوعها إلى: شخصية وطبيعية ومهملة ومحصورة

المطلب الثاني: أهميَّة قاعدة الجري والانطباق:

تقدَّمت الإشارة في المطلب السابق إلى بعض ثمرات قاعدة الجري والانطباق، وسأشير هنا – وعلى نحو الاختصار – إلى أهميَّة هذه القاعدة. وخير ما أستدلَّ به على هذه الأهميَّة هو كلام الشيخ الفيض الكاشاني (ره)؛ إذ قال في مقدِّمة تفسيره:

"ومنه ما يشتمل على ما يوهم عليه التَّناقض والتَّضاد؛ لتخصيص المعنى تارةً ببعض الأفراد كأنَّه هو المراد، وتارةً بفردٍ آخر كأنَّ غيره لا يُراد، من غير تعرُّضٍ للجمعِ والتَّوفيق، ولا إتيانٍ بما هو التَّحقيق. وجلُّه يشتمل على ما يوهم اختصاص آيات الرَّحمة بأشخاصٍ بأعيانهم، كأنَّها لا يجاوزهم إلى الغير، واختصاص آيات العذاب بأشخاصٍ أُخر كأنَّهم خُصُّوا بالبعد عن الخير من غير تعرُّضٍ منهم لبيان المراد، وأن ليس المقصود بهما خصوص الآحاد والأفراد، كما يعرِّفه البصير في الدِّين والخبير بأسرار كلام المعصومين، كيف! ولو كان ذلك كذلك لكان القرآن قليل الفائدة، يسير الجدوى والعائدة، حاشاه عن ذلك؛ بل إنَّما ورد ذلك على سبيل المثال؛ لإزاحة الخفاء، أو ذكر الفرد الأكمل والأخفى، أو المنزل فيه، أو للإشارة إِلَى أحد بطون معانيه"[٣٥]، وبعد هذا النصِّ تتَّضح أهميَّة هذه القاعدة ودورها في استمراريَّة القرآن الكريم في كلِّ عصرٍ ومصر.

وهنا يريد الباحث الوقوف عند مسألة غاية في الأهميَّة، فضلًا عن الثمرات التي تقدَّم ذكرها، هناك مسألة محوريَّة نصَّ عليها القرآن الكريم، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بقاعدة الجري والانطباق، ألا وهي مسألة الرابطة الأزليَّة بين قاعدة الجري وانطباق السنن الإلهيَّة؛ إذ لا انفكاك بينهما على الاطلاق، فمسألة انطباق السنن الإلهيَّة على الأقوام، في كلِّ مكانٍ وزمانٍ مسألة تتجدَّد بتجدُّد الشروط، وهي سارية إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها؛ إذ القرآن الكريم – كما تقدّم – ليس كتاب قصص، أو كتاب ينقل وقائع حدثت في الماضي؛ بل آياته الشريفة قوانين راسخة لا تقبل التخلف والاختلاف، "فإنَّ لله سبحانه في عالم التكوين والتشريع قوانين وأصولًا ثابتة، كالقوانين الأساسيَّة والدساتير المسنونة بين شعوب العالم التي لا تتبدَّل، ولا تكون عرضة للتغيير، وهذه القوانين الإلهيَّة كانت حاكمة على الأقوام الماضين، وتحكمنا اليوم، وستكون حاكمة في المستقبل على الأجيال الآتية"[٣٦].

٣٥ الفيض الكاشاني، محمَّد محسن. تفسير الصَّافي، تصحيح وتقديم الشَّيْخ حسن الأعلمي، ط١ (دار المرتضى، د.ت.)، ١/ ١٢.
٣٦ الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٣/ ٣٥٦.

فحينما يتحدَّث الباري سبحانه عن سلوكيَّات بعض الأُمم وما حاق بهم نتيجة تلك السلوكيَّات، يُخبر سبحانه بأنَّ ذلك جارٍ على غيرهم ممَّن يسير بسيرتهم، وإذا ما سلكوا ما سلك أولئك فإنَّ السنن الإلهيَّة لا محالة ستنطبق عليهم، ومن تلك السنن التاريخيَّة (الاستبدال، الاستدراج، النصر، التغيير الاجتماعي، هلاك الأُمم، و...).

وقد عرض كثير من علماء التَّفسير إلى هذه السنن الإلهيَّة وارتباطها بالجري والانطباق، نرى ذلك جليًّا عند الشهيد محمَّد باقر الصدر (ره)، الذي أولى هذا الأمر مزيدًا من البحث والتفصيل في كتابه (المدرسة القرآنيَّة).

وكمثال على ارتباط السنن الإلهيَّة بقاعدة الجري، أسوق هنا ما قاله السيِّد الصدر؛ إذ استشهد بالآية الكريمة ﴿لِكلِّ اُمّةٍ أجل إذا جاءَ أَجَلُهُمْ فلا يَستأخِرونَ ساعةً ولا يستَقدِمُون﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَلِكلِّ أُمَّةٍ أجلٌ فإذا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يستأخِرُون ساعةً ولا يَستَقدِمُون﴾ وربطها بموضوع السنن التاريخيَّة، التي ترتبط بدورها بقاعدة الجري والانطباق، فقال: "نلاحظ في هاتين الآيتين الكريمتين أنَّ الأجل أُضيف إلى الأُمَّة، إلى الوجود المجموعي للنَّاس، لا إلى هذا الفرد بالذات أو هذا الفرد بالذات. إذن هناك وراء الأجل المحدود المحتوم لكلِّ إنسانٍ بوصفه الفردي، هناك أجل آخر وميقات آخر للوجود الاجتماعي لهؤلاء الأفراد، للأمَّة بوصفها مجتمعًا يُنشئ ما بين أفراده العلاقات والصلات القائمة على أساس مجموعة من الأفكار والمبادئ المسندة بمجموعة من القوى والقابليات. هذا المجتمع الذي يعبِّر عنه القرآن الكريم بالأُمَّة، هذا له أجل، له موت، له حياة، له حركة، كما أنَّ الفرد يتحرَّك فيكون حيًّا ثمَّ يموت، كذلك الأمَّة تكون حيَّة ثمَّ تموت، وكما أنَّ موت الفرد يخضع لأجل ولقانون ولناموس، كذلك الأُمم أيضًا لها آجالها المضبوطة. وهناك نواميس تحدِّد لكلِّ أُمَّة هذا الأجل .إذن هاتان الآيتان الكريمتان فيهما عطاء واضح للفكرة الكليَّة، فكرة أنَّ التاريخ له سنن تتحكم به وراء السنن الشخصيَّة، يعني وراء السنن التي تتحكَّم في الأفراد بهُويَّاتهم الشخصيَّة"[٣٧].

٣٧ الصدر، محمَّد باقر.المدرسة القرآنيَّة (بيروت: الدار العالمية، ١٩٨٩)، ٤٩.

ونلحظ في كلام الشهيد الصدر قوله: (وهناك نواميس تحدِّد لكلِّ أُمَّة هذا الأجل...)، وإذا ما سارت الأُمم الحاضرة بسُنن الأُمم الغابرة، فستدركها تلك النواميس لا محالة.

الخاتمة والنتائج

في ختام هذا البحث الذي حاول فيه الباحث عرض أهميَّة قاعدة الجري وثمراتها، وكذا الأدلة الشرعيَّة التي تستند عليها هذه القاعدة، يعرض الباحث هنا بعض النتائج التي توصّل لها، وهي:

١ - أنَّ قاعدة الجري لها مكانٌ سامٍ بين القواعد التفسير القرآنيَّة، فهي من ألمع القواعد وأشدّها أهميَّة؛ إذ بها يبقى القرآن غضًّا طريًّا تجري آياته ما جرى الليل والنهار، والشمس والقمر.

٢ - أنَّ لهذه القاعدة أثرًا في توسعة المدى الذي تنطبق عليه الآيات، بعد تجريد الآية من خصوصيات الحادثة التي نزلت فيها، وذلك بأن يصار إلى معرفة مناط الآية وعمَّ تتحدَّث.

٣ - أنَّ آيات القرآن الكريم لا يحدُّها زمان أو مكان، كما جاء ذلك بشكلٍ واضح لا لبس فيه في بيانات العترة الطاهرة، صلوات الله عليهم أجمعين، فالقرآن الكريم لم يأتِ لقوم دون قوم، أو لزمانٍ دون زمان.

٤ - تعطي هذه القاعدة مساحة واسعة للمفسِّر والفقيه واستنباط الأحكام وتطبيقها على الحالات المشابهة، لا سيَّما عند ظهور مسائل غير منصوص عليها بشكلٍ صريح، أو ما يسمُّونه اليوم بـ(مستحدثات المسائل) في جميع الأبواب الفقهيَّة.

٥ - ليس بمقدور عامَّة الناس التعاطي مع قاعدة الجري والانطباق؛ إذ إنَّ إعمال هذه القاعدة بحاجة إلى فهم الآيات الشريفة، وكذا بحاجة إلى التوافر على جملة من العلوم اللغويَّة والقرآنيَّة. فضلًا عن أنَّ قاعدة الجري لا يمكن تطبيقها على جميع الآيات القرآنيَّة الشريفة.

٦ - ترتبط هذه القاعدة ارتباطًا وثيقًا بمسألة السنن الإلهيَّة؛ إذ لا انفكاك بينهما على الاطلاق، فمسألة انطباق السنن الإلهيَّة على الأقوام، في كلِّ مكانٍ وزمانٍ مسألة تتجدَّد بتجدُّد الشروط، وهي سارية إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها.

في الختام، أسأل البارئ سبحانه أن أكون وفّقت فيما كتبت، ومنه سبحانه أسأل السداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر

القرآن الكريم

أبو زيد، نصر حامد. نقد الخطاب الديني. القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣.

أركون، محمَّد. الفكر الإسلامي قراءة علميَّة. ط١. بيروت: مركز الإنماء القومي، ١٩٩٦.

الآملي، عبدالله الجوادي. تفسير تسنيم. بيروت: دار الاسراء للطباعة والنشر، ٢٠١١.

الحيدري، رائد. المقرر في توضيح منطق المظفر. قم المقدَّسة: ذوي القربى، ١٤٢٢.

السلطاني، حكيم. "القراءة الحداثية للنص القرآني." أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كليَّة الآداب – قسم اللغة العربية / جامعة الكوفة، ٢٠١٦.

الشريف، عادل محمَّد. تاريخيَّة النص الديني. ط١. كربلاء المقدَّسة: مؤسَّسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية، ٢٠١٩.

الشيخ محمَّد، الطائري ياسر. مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة. ط١. بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٦.

الشيرازي، ناصر مكارم. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، د.ت.

الصدر، محمَّد باقر. المدرسة القرآنيَّة. بيروت: الدار العالمية، ١٩٨٩.

الطباطبائي، محمَّد حسين. الميزان في تفسير القرآن. قم: جماعة المدرسين في الحوزة العلميَّة في قم المقدَّسة، د.ت.

العياشي، محمَّد بن مسعود. تفسير العياشي. طهران: المكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، د.ت.

الفيض الكاشاني، محمَّد محسن. تفسير الصَّافي. تصحيح وتقديم الشَّيْخ حسن الأعلمي. ط١. دار المرتضى، د.ت.

الكلانتري، إلياس. مختصر الميزان في تفسير القرآن. طهران: انتشارات أسوة، ١٤٢١.

المازندراني، علي أكبر. دروس تمهيديَّة في القواعد التفسيريَّة. قم المقدَّسة: مؤسَّسة النشر الإسلامي، ١٤٣١.

المجلسي، محمَّد باقر. بحار الأنوار. بيروت: مؤسَّسة الوفاء، د.ت.

توريـن، آلان. نقد الحداثة. ترجمة: أنور مغيث. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧.

تيزيني، الطيب. النصّ القرآني أمام إشكاليَّة البنية والقراءة. دمشق: دار الينابيع، ١٩٩٧.

حرب، علي. نقد النص. المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ٢٠٠٥.

خريسان، باسم علي. ما بعد الحداثة دراسة في المشروع الثقافي الغربي. ط١. دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٦.

شبستري، محمَّد مجتهد. "القراءة النبويَّة للعالم." مجلة قضايا إسلاميَّة معاصرة، العدد ٥٩-٦٠ (٢٠١٤).

صالح، هاشم. الإسلام والانغلاق اللاهوتي. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠١٠.

عمارة، محمَّد. النص الإسلامي بين التاريخيَّة والاجتهاد والجمود. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.

لوفيفر، هنري. ما الحداثة. ترجمة كاظم جهاد. ط١. بيروت: دار ابن رشد للطباعة والنشر، ١٩٨٣.

معرفة، محمَّد هادي. التفسير الأثري الجامع. قم المقدَّسة: مؤسَّسة التمهيد، ٢٠٠٨.

هيأة التحرير. "الحداثة وما بعد الحداثة." مجلَّة الاستغراب السنة الأولى، ٢٠١٥.

References

Holy Quran

"Abu Zida, Nasr Hamidi. Naqd Alkhitab Aldiynii. Alqahirati: Maktabat Madbuli, 2003. Arkun, Muhamadi. Alfikr Aliaslamii Qira"at Eilmiatun. Ta1. Bayrut: Markaz Al"iinma" Alqawmii, 1996. Alamli, Eabdallah Aljawadi. Tafsir Tsinim. Birut: Dar Alasara" Liltibaeat Walnashri, 2011.

Alhaydri, Rayid. Almuqarar Fi Tawdih Mantiq Almuzafari. Qim Almuqadasati: Dhawi Alqurbaa, 1422. Alsultani, Hakimu. "Alqira"at Alhadathiat Lilnasi Alqurani." "Utruhat Dukturah Muqadimatan "Iilaa Kuliyat Aladab - Qism Allughat Alearabiat / Jamieat Alkufati, 2016.

Alsharifi, Eadil Muhamad. Tarikhiat Alnasi Aldiyni. Ta1. Karbala" Almuqadasatu: Muasasat Aldalil Lildirasat Walbuhuth Aleaqdiati, 2019.

Alshaykh Muhamadu, Altaayiriu Yasir. Muqaribat Fi Alhadathat Wama Baed Alhadathati. Ta1. Bayrut: Dar Altalieati, 1996.

Alshiyrazi, Nasir Makarmi. Al"amthal Fi Tafsir Kitab Allah Almunzila, Da.T.

Alsadra, Muhamad Baqur. Almadrasat Alquraniatu. Bayrut: Aldaar Alealamiatu, 1989.

Altabatibayiy, Muhamad Husayn. Almizan Fi Tafsir Alqurani. Qum: Jamaeat Almudarisin Fi Alhawzat Aleilmiat Fi Qimi Almuqadasati, Da.T.

Aleayashi, Muhamad Bin Maseudi. Tafsir Aleayashi. Tahran: Almaktabat Aleamiat Al"iislamiati, Da.T. Alfayd Alkashaniu, Muhamad Muhsin. Tafsir Alssafy. Tashih Wataqdim Alshshaykh Hasan Al"aelami. Ta1. Dar Almurtadaa, Da.T.

Alkilantiri, "Iilyas. Mukhtasar Almizan Fi Tafsir Alqurani. Tahran: Antisharat "Uswati, 1421. Almazindirani, Eali "Akbara. Durus Tamhidiat Fi Alqawaeid Altafsiriati. Qim Almuqadasati: Muasasat Alnashr Al"iislamii, 1431.

Almajlisay, Muhamad Baqar. Bahaar Al"anwar. Bayrut: Muasasat Alwafa"i, Da.T.

Turin, Alan. Naqd Alhadathati. Tarjamatu: "Anwar Maghithi. Alqahirati: Almajlis Al"aelaa Lilthaqafati, 1997.

Tizini, Altayb. Alns Alquraniu "Amam "Iishkaliat Albinyat Walqira"ati. Dimashqa: Dar Alyanabie, 1997. Harbu, Ealay. Naqd Alnas. Almarkaz Althaqafia Alearabia Aldaar Albayda", 2005.

Khirisan, Biasm Ealay. Ma Baed Alhadathat Dirasat Fi Almashrue Althaqafii Algharbii. Ta1. Dimashqa: Dar Alfikri, 2006.

Shibistiri, Muhamad Mujtahidi. "Alqira"at Alnabawiat Lilealami." Majalat Qadaya "Iislamiat Mueasirata,. Aleadad 59-60 (2014).

Saliha, Hashimi. Al"iislam Walianghilaq Allaahuti. Bayrut: Dar Altalieat Liltibaeat Walnashri, 2010. Eimaratu, Muhamad. Alnasu Al"iislamiu Bayn Altaarikhiat Waliajtihad Waljamuda. Nahdat Misr Liltibaeat Walnashr Waltawziei, 2006.

Lufifir, Hinri. Ma Alhadathatu. Tarjamat Kazim Jihadi. Ta1. Bayrut: Dar Abn Rushd Liltibaeat Walnashri, 1983.

Maerifatu, Muhamad Hadi. Altafsir Al"athariu Aljamiei. Qim Almuqadasatu: Muasasat Altamhidi, 2008.

Hi"at Altahriri. "Alhadathat Wama Baed Alhadathati." Majalat Aliastighrab Alsanat Alawlaa2015.